صفحات مشرقة بالإيمان

من حياة الفاضلة الكريمة

أم سلمان رحمها الله

كتبها وفاءً لها واعترافاً بفضلها زوجها الداعي لها بالخير

أبو سلمان

تولاه الله برحمته

مقدمة

قديماً قالوا في الحكمة الفارسية إن محبة الناس تجلب عليك شراً كثيراً لو لم يكن منه سوى ألم الفراق ووجعه الذي ينحل الجسم ويوهن العقل لكان كافياً....

ولكن هذه الحقيقة حقيقة ناقصة ، فلو علم المحب أن الحبيب ما فارقه إلا ليلقاه مرّة ثانية ليس بعدها فراق للانت حدّته وسكنت ثورته وارتفعت بهجته وسري عنه.

ولعاش بقية الأجل تائقاً يسير بحرارة الشوق إلى ذلك العالم النظيف الذي خلا من الخنا و الهبوط وارتفع عن دناءة عيشنا ، ودامت لذته ، وانقطع إلى محبوبه ، وقد أتاح الله دوام اللقاء على أحسن مايريد.

وفي الحقيقة أيها القارئ الكريم إنني وأنت أمام كلام مسطور . لا أدري أهو كتب كما نكتب بالمداد ؟ أم كتب بدمع العين وماء القلب؟؟

فلم أقرأ هذه الأسطر إلا وانهال دمع العين يسبقه انفطار ماء القلب .

قد يقول البعض ....هذا شأن الحديث عن الموت والفراق وانسكاب مصهور العاطفة على أغلاق القلوب فتذيبها.

ولكني دققت النَّظر فلم أرى ذلك يعتريني ، إنما هزّ جوانحي شيء آخر ، وهو أننا أمام فقدان شخصِيَّة لطالما ظهر خيرها وبرها وفضلها على البعيد قبل القريب على الصغير والكبير

فقدنا مفتاحاً من مفاتح البركة ، جعلت بيتها داراً يسعى إليها طلاب العلم من كل مكان .

لنرى هناك هدوءاً ونظاماً وكرماً فائق الحسن ...

نعم لقد فقدنا...

امرأة تحمَّلت من الصَّبر ضروباً مختلفةً في الحياة ...

امرأة كان فيها ما فيها من صفات الكرم والرَّحمة على طلاب العلم فكانت تقدِّم وتجود لهم بأفضل مافي بيتها ، وكنت من الشَّاهدين على ذلك.

في دروس الشيخ الخاصة ، وفي بيته عدد لا بأس به من طلاب العلم من كل مكان ، وما أن نشعر بالجوع إلا ونرى أمامنا مائدة عليها من صنوف الخير من الطعام والشراب ما يكفي كلَّ الحاضرين ، وتُرفع المائدة وكأن أحداً لم يأكل من كثرة ما عليها.

لا أريد أجتذب أطراف الحديث ولكن .....

خير من يشهد لهذه الفقيدة الكريمة أم سلمان هو زوجها الفاضل فضيلة الشيخ أبو سلمان عبد الله الغليفي–حفظه الله ونفع به جموع المسلمين– فهو من أهل الخير والبركة تعلمنا منه صدق الفعال وكريم الخصال قبل أن نلمس ذلك في حسن المنطق والمقال نحسبه والله حسيبه وجزاه خيراً لما قدَّم ويقدِّم من عمل دعوي دائب لشباب للمسلمين.

والله الموفق.

محمد الرويني

جامعة المنصورة

عزاء............واجب

توفيت امرأة ...زوجة....أم.

ولكنها ليست ككل نساء زماننا هي المرأة الصوامة القوامة العابدة المجاهدة المربية نحسبها والله حسيبها .

توفيت أم سلمان زوجة شيخنا المفضال الشيخ أبو سلمان —حفظه الله –فجأة بدون أي مقدمات للمرض أو الشكوى حدثني أنه كان يتكلم معها ففاضة روحها إلى البارى

لست حزيناً على الفراق الذي حدث بينها وبين زوجها وأولادها لأن اللقاء محتوم .

ولكن مانبكيه ويتقطع له القلب على فقدان امرأة تحملت من الصبر ضروباً مختلفة في الحياة والذي قرأ سيرة الشيخ يعلم هذا .

فقدان امرأة كان فيها مافيها من صفات الكرم والرحمة على طلاب العلم فكانت تقدم وتجود لهم بأفضل مافي بيتها .

وكنت من الشاهدين على ذلك في دروس الشيخ الخاصة وفي بيته عدد لابأس به من الطلاب من كل مكان وما أن نشعر بالجوع إلا ونرى أمامنا مائدة عليها من صنوف الخير من الطعام والشاي والعصائر التي تكفي كل الحاضرين وتُرفع المائدة وكأن أحدا لم يأكل من كثرة ماعليها...

ماتت.

وكان صلاح هذه المرأة والذي شهد به زوجها الشيخ ظاهرا في

مصنفات الشيخ .

ودعوة الشيخ.

وبيت الشيخ .

وأولاد الشيخ .

وملبس الشيخ وهيأته .

فاللهم ارحمها رحمة تطفئ بها نار الحزن ولوعة الفرقة.

إني داع فأمنوا.

اللهم ارحمها رحمة تقر بها أعيننا

واجعلها مع خديجة وعائشة وفاطمة

أبدلها اللهم داراً خيراً من دارها ومتاعاً خيراً من متاعها

أكرم نزلها ووسع مدخلها وتقبلها اللهم من الصالحات .آمين.

الأستاذ الشيخ

محمد الروينى

جامعة المنصورة

رحمك الله يأم سلمان عشر سنين على فراقك ومازال القلب ينزف

===

أراك هجرتني هجراً طويلاً .. وما عودتني من قبل ذاكا

عهدتك لا تطيق الصبر عني .. وتعصي في ودادي من نهاكا

فكيف تغيرت تلك السجايا .. ومن هذا الذي عني ثناكا

فلا والله ما حاولتَ غدراً .. فكل الناس يغدر ما خلاكا

فيا من غاب عني وهو روحي .. فكيف أطيق من روحي إنفكاكا

وما فارقتني طوعاً .. ولكن دهاك من المنية ما دهاكا

يعز على حين أُدير عيني .. أفتش في مكانك لا أراكا

ختمتُ على ودادك في ضميري .. وليس يزال مختوماً هناكا

فوا أسفي لجسمك كيف يبلى .. ويذهب بعد بهجته سناكا

ولا زال السلام عليك مني .. يزف على النسيم إلى ذراكا

لولا الحياءُ لهاجَني استعبارُ ... ولزرتُ قبركِ، والحبيبُ يزارُ

ولقدْ نظرتُ ..وما تمتعُ نظرةٍ .. في اللحدِ حيثُ تمكّنَ الحفارُ

كانتْ مكرّمةَ العشيرِ ولمْ يكنْ .. يخشى غوائلَ (أمِّ سلمان)جارُ

ولقدْ أراكِ كسيتِ أجملَ منظرٍ .. ومعَ الجمالِ سكينةٌ ووقارُ

والريحُ طيبةٌ إذا استقبلْتها .... والعرضُ لا دنسٌ ولا خوّارُ

صلى الملائكةُ الذينَ تخيروا .. والصالحونَ عليكِ والأبرارُ

وعليكِ منْ صلواتِ ربكِ كلما ..... نصبَ الحجيجُ ملبدين وغاروا

لا يلبثُ القرناءَ أنْ يتفرقوا .... ليلٌ يكرُّ عليهمِ ونهارُ

اللهم اغفر لأمتك أم سلمان والطف بنا بعدها ولاتحرمنا اجرها

لن ننساكِ

وكيف ننسى ما كانت لنا معنى العطاء.. والصبر والوفاء..

من كانت تراعي ظروفنا وتحضنا على القيام بالمعروف..

من كانت تمنحنا الحب بلا حدود..

من كانت تُدخل على قلبنا الرضى والسرور حينما تثقل علينا الأمور..

رحمة الله عليكِ يا غاليتنا الحبيبة ..لن ننساكِ..

لن ننساكِ..

ليت كل النساء مثلها ,, فهكذا تكون النساء

وفاءً للحبيبة الغالية توأم الروحِ ورفيقة الدرب أم سلمان رحمها الله

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ ... فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ

هي الأمورُ كما شاهدتُها دُوَلٌ ... مَن سرّه زمنٌ ساءته أزمانُ

وهذه الدارُ لا تبْقي على أحدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوَّعةٌ ... ... وللزمانِ مسرّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلوانٌ يسهِّلُها ... وما لِما حلَّ بالإسلامِ سُلوانُ

حتى المحاريبُ تبكي وهْيَ جامدة حتى المنابرُ تَرثي وهيَ عيدانُ

لمثل هذا يذوبُ القلبُ مِن كمَدٍ ... إنْ كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

رحمك الله يأم سلمان وغفر لك

اللهم أرها من رحمتك ماتقر عينها به ياكريم

أم سلمان

=======

غرستُ حُبكَ في الفؤادِ .. وكلما _ مضت السنينُ أراهُ دوماً يزدهر

لولا الحياء لهاجني استعبارُ .... ولزرت قبرك، والحبيب يزار

فقدتك زوجة ؛ وأخا؛ وأختا .... وأماً برةً ، وأباً، وخدنا

وناصحة تزفُ الرأي فصلاًإذا .... ما أوجه الرأى اصطرعنا

وكنت ، إذا جهلت، بذلت حلماً ..... فعدت إليك معتذراً معنى.

وكنت ، إذا حرجت، وضاق صدرى..... سكبت عليه أنسك فاطمأنا

ستفنى ذكريات الخلق عندي .... وذكرك في الجوانح ليس يفنى

اللهم اجمعنى بها وبمن أحب فى الجنة

أم سلمان

غرستُ حُبكَ فِي الفؤادِ .. وكلما

مضت السنينُ أراهُ دوماً .. يزدهر .. !

مازلت أفتقد أم سلمان ولولا السنة والتمسك بها ماقلت ربى اخلفنى خيراً منها ومن خير من أم سلمان !

ستة أشهر مضت على رحيلها ومازال طيفها فى خيالى

ضحكاتها سكناتها حبها حنانها عطفها ضحكتها حسن تربيتها لأولادها خلقها طيبتها جمال روحها

ماأصعب الحياة وأقساها بعدها، فاللهم الطف بنا ولاتحرمنا أجرها ولاتفتنا بعدها

هل يجوز الزواج ؟

خطب لى ابنى سلمان بارك الله فيه وعزم على أن يزوجنى – أسأل الله أن يزوجه من الحور العين – وإختارت ابنتى الحبيبة الغالية أم عمر هى الأخرى وأجمع الأولاد جميعهم على أن الزواج حتم لازم فقلت لهم حفظهم الله – الزواج لمثلى لايجوز–مع أن الحكم الشرعى للزواج يدور مع الأحكام الخمسة –قالوا لما ؟

قلت أشعر وكأنى أفعل الحرام وأقع فى المعاصى والأثام إذ كيف يطيب العيش واتكشف على إمرأة غير الحبيبة الغالية الكريمة الفاضلة توأم الروح أم سلمان؟

قال يأبى أماه ماتت رحمها الله ويجوز لك الزواج من أربع وهى كانت تحبك وتحب أن تراك سعيداً

قلت هى لم تمت فى قلبى فهى ملء كيانى وخيالى ووجدانى أراها فى لحظة وكل همسه

أراها فى اليقظة والمنام أراها فى الخيال وفى التفكير والوجدان

أراها وكأنى لم أراها فاشتاق أن أراها وأأنس بها وأستمتع بالحديث معها

فهى لم تمت ولم تفارقنى وإن غاب جسدها ولكن بقيت روحها وطيفها فهل يجوز لى أن أتزوج غيرها ؟

قالوا لابد أن تضحى من أجلنا فالحمل ثقيل والمسؤولية مضاعفة، قلت هذا ليس زواج ولكنه عقد واتفاق على الواجبات والحقوق أما الزواج فلن يكون إلا من أم سلمان والإجتماع بها فى الجنان بتوفيق الرحمن وهنا يصدق كلام العدنان عن أمنا خديجة صاحبة القصر فى الجنان(والله ماأبدلنى الله خير منها)

رحمك الله يأم سلمان ولطف الله بنا ورزقنا الصبر والسلوان

لولا الحياء لهاجنى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

الحمد لله رجعنا ولكن لم ترجع أم سلمان

اليوم الجمعة رجعنا إلى بيتنا وإلى بلدنا بعد أن اكتمل البناء بفضل الله وتوفيقه وتسديده وتيسيره وقد إجتهدت على أن يكون بيتًا سعيداً يدخل السرور والفرح على أولادى رجعنا بعد غياب دام أكثر من أربعة أشهر ولكن لم ترجع معنا أم سلمان وأحسب أن الله أختار لها بيتاً أفضل من بيتنا وجوارًا أفضل من جوارنا هذا ظنى بربى الكريم

كنت أتمنى أن تكون معنا الليلة وترتب الأشياء وتشاركنا فرحتنا والبسمة على الوجوه

لم أحسب يومًا أنها ستفارقنا بهذه السرعة المفاجئة

بل لم أفكر يوماً أن أعيش بدونها وكيف مرت هذه الأيام علينا ،إنها رحمة الله بنا

فأقدار الله كلها خير حتى الذى ظاهره الشر هو خير فى حقيقته ومآله فلن يكون إلا خيراً

قالوا عنا !!!!!! تزوج على زوجته فعلمت فماتت حزنا

تزوج بعد وفاتها بأربعة أيام ولم يحزن عليها !!!!!!

دفنها ليلاً حتى يتخلص منها بسرعة ويرجع لزوجته الجديدة!!!!!!!!!!!!!

غسلها وكفنها ودفنها ولم يعمل عمله أحد من قبله!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

قالوا ويقولون وسيقولون هكذا هى طبيعة البشر ينشغلون بما لم يكلفهم الله به

فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ورحم الله أم سلمان رحمة واسعة وغفر لها

وماتت أم سلمان

أتعرفون من هى أم سلمان ؟

إنها الزوجة الصالحة العابدة

المجاهدة المربية الفاضلة الصابرة المحتسبة محبة الخير

ماتت فجأة دون مقدمات فكانت صدمة ومصيبة كما سماها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

ماتت أم سلمان بعد عِشرة دامت أكثر من ربع قرن من الزمان وتقلب الأيام ونوائب الدهر

ماتت حبيبتى وزوجتى وأم أولادى وتركتنا ونحن فى أشد الحاجة إليها وإلى حنانها وعطفها وروحها الطيبة

ماتت بعد أن أحست أنها أتمت مهمتها وقامت بواجبها فأرادت أن ترتاح من كل هذا العناء بعد هذا الطريق الشاق الذى كانت بدايته عام 1403 الموافق 1983 عندما رأيتها أول مرة طفلة صغيرة لم تتجاوز الرابعة عشر من عمرها فرأيت فيها البراءة والطهر والعفاف وتمت الخطبة بعد خمس سنوات ثم الزواج بعدها بثلاثة سنوات

فكانت هذه هى المرحلة الأولى من حياتنا معاً

صفحات مشرقة بالإيمان من حياة أم سلمان

هذه الزوجة الصالحة المجاهدة الصابرة سأذكر لمحات من صبرها وجهادها وحبها للمسلمين وخدمتها لطلبة العلم والمجاهدين وصفحات من صبرها وجلدها مع الظالمين وصفحات من تحريضها أبنائها على نصرة دين الله وطلب العلم وتعلم القرآن

صفحة الستر

كانت تحب الستر حتى وهى صغيرة قالت لى يوما أريد أن أستتر فلا يرانى أحد إلا أنت فالستر نعمة عظيمة من الله هذا فى وقت كان الحجاب الشرعى غير منتشر ويحارب من دعاة التبرج والسفور ومع ذلك تحدت هذا الواقع وتحملت تبعات إختيارها وحقق الله لها ماتمنت وتحجبت حجابا شرعيا فكان لايظهر منها شيئا وكانت تلبس البيشة وتكره النقاب والبرقع وتقول ليست محجبة من تظهر عينيها فهى أجمل مافى الوجه فكيف تظهرها من تخاف الله تعالى ؟

من حبها للستر أنها ظلت سنة كاملة لاتخرج من عتبة باب بيتها

==

سافرت ذات مرة ومكثت عام كامل وتركتها وحيدة هى وإبنتها الصغيرة سلمى التى لم يتجاوز عمرها سنتين

وكانت أمها تطلب زيارتها فكانت تقول لها إنى امرأة مغيبة – التى غاب عنها زوجها – ولا أخرج إلا بإذن أو لضرورة فإن أردت رؤيتى يأماه فأهلا بك فى بيتى أما أنا فلا أغضب ربى ولا أعصى زوجى وأشغل نفسيى بالطاعة وطلب العلم وتربية أولادى على القرأن والسنة والدعوة وليس عندى وقت لغير ذلك

وكانت تستعين بجارة لها فى قضاء حوائجها

وعاشت هذه االسنة طالبة علم على محاضرات ودروس الشيخ الطحان والشيخ الشنقيطى فهى مستمعة جيدة– رحمها الله – فتاثرت بالشيخين خاصة فى جانب السلوك والزهد والمواعظ والأداب مما كان له الأثر الطيب فى تربيتها لإبنتها سلمى التى أصبحت فيما بعد قدوة للنساء وسنذكر طرفًا من حياة أولادها حتى نقف على مواطن الخير فى شخصيتها رحمها الله رحمة واسعة

أبو سلمان

بعد سبع سنوات من رحيل أم سلمان – رحمها الله ورضى عنها –

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فإن أقدار الله كلها خير ولا تخلوا من حكمة وإن خفيت على بعض الناس وربنا الرحمن الرحيم يختار الخير لنا فهو ربنا وخالقنا وهو سبحانه أعلم بما يصلحنا كيف لا وهو الإله المعبود البر الرحيم الودود ومع هذا العلم إلا أن الإنسان عند أقدار الله ينسى ويجهل ذلك ولاسيما عند فراق الأحبة

والموت من أقدار الله تعالى قدره الله على الخلق جميعا

فقال سبحانه { نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60)}الواقعة

وقال {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (186) آل عمران0

فالحياة في هذه الأرض محدودة بأجل. وكل نفس ذائقة الموت على كل حال. إنما الجزاء هناك، والكسب والخسارة هناك. «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ. وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ»

والموت اختبار وامتحان للعبد

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)}الملك

ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع.

ولا فرار من الموت ولامهرب { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}الجمعة

وفي نهاية الجولة يقرر حقيقة الموت وما بعده، ويكشف لهم عن قلة الجدوى في فرارهم من الموت، فهو حتم لا مهرب منه، وما بعده من رجعة إلى الله، وحساب على العمل حتم كذلك لا ريب فيه:

(قُلْ: إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ. ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

وهي لفتة من اللفتات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين. تقر في الأخلاد حقيقة ينساها الناس، وهي تلاحقهم أينما كانوا.. فهذه الحياة إلى انتهاء. والبعد عن الله فيها ينتهي للرجعة إليه، فلا ملجأ منه إلا إليه. والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة. فلا مهرب ولا فكاك.

وقال تعالى :{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)}النساء

وقال عز وجل لحبيبه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم

{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)}الأنبياء وإذا كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- يموت فهل هم يخلدون؟ وإذا كانوا لا يخلدون فما لهم لا يعملون عمل أهل الموتى؟

وما لهم لا يتبصرون ولا يتدبرون؟

«كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» . هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء.فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء:

(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)

والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضر، ومدى ثقته في ربه، ورجائه في رحمته.. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان..

إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر..

إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم.

كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع، وما يثير انه من شهوات وأطماع!

كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء! كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمراح. ثم لا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال. وبالاسترخاء الذي يقعد الهمم ويذلل الأرواح! إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها. أما الرخاء فيرخي الأعصاب وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة! لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء! وذلك شأن البشر.. إلا من عصم الله فكانوا ممن قال فيهم رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:

«عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم

.. وهم قليل! فاليقظة للنفس في الابتلاء بالخير أولى من اليقظة لها في الابتلاء بالشر. والصلة بالله في الحالين هي وحدها الضمان..

وقال ربنا {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57}العنكبوت

فالموت حتم في كل مكان، فلا داعي أن يحسبوا حسابه، وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب.

والموت مصيبة كما سماه الله فقال تعالى

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (106)}المائدة

هكذا حديث القرآن عن الموت وحقيقته أنه مصيبة وأنه أمر واقع وقدر لامهرب ولامفر منه وهو المرحلة الثانية من المراحل الأربع التى يمر بها الإنسان فى طريقه إلى الله تعالى فبطن أمه كانت الدار الأولى , والحياة الدنيا كانت الدار الثانية ,وحياة القبر والبرزخ كانت الدار الثالثة والحياة الآخرة هى دار القرار إما إلى جنة وإما إلى نار نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار

وكما أن الموت مصيبة فهو كذلك صدمة

كما جاء ذلك فى السنة النبوية الصحيحة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»سنن بن ماجة

والمعنى الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ويثاب عليه فاعله ما كان منه عند مفاجأة المصيبة. بخلاف ما بعد ذلك فإنه على مدى الأيام يسلوا أو ينسى

و عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ»ابن ماجة

و عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَعْنِي – مَرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي» . فَقَالَتْ: وَأَنْتَ مَا تُبَالِي بِمُصِيبَتِي؟ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ» هَذَا لَفْظُ أَبِي عَامِرٍ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ: فَأَتَتْهُ لَيْسَ دُونَهُ بَوَّابٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصْبِرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»رواه البخاري ومسلم

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ , عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ , وَالصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى , وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ , فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا , وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ "

أن للنفس عند هجوم الحادثة محرك على الجزع، ليس فى غيرها مثله، وتلك حال يضعف عن ضبط النفس فيها كثير من الناس، ثم يصبر كل جازع بعد ذلك إلى السكون ونسيان المصيبة، والأخذ بقهر الصابر نفسه، وغلبته هواها عند صدمته إيثارًا لأمر الله على هوى نفسه، ومنجزًا لموعوده، بل السالى عن مُصابه لا يستحق اسم الصبر على الحقيقة، لأنه آثر السلو على الجزع واختاره.

وإنما الصابر على الحقيقة من صبر نفسه، وحبسها عن شهوتها، وقهرها عن الحزن والجزع والبكاء الذى فيه راحة النفس، وإطفاء لنار الحزن، فإذا قابل سورة الحزن وهجومه بالصبر الجميل، واسترجع عند ذلك، وأشعر نفسه أنه لله ملك، لا خروج له عن قضائه، وإليه راجع بعد الموت ويلقى حزنه بذلك، انقمعت نفسه، وذلك على الحق، فاستحقت جزيل الأجر.

قال أنس دَخَلْنَا عَلَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: (يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ) ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) .

هذا البكاء تفسير البكاء المباح والحزن الجائز، وذلك ما كان بدمع العين ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا لأمر الله، إذ الفطر مجبولة على الحزن، وقد قال الحسن البصرى: العين لا يملكها أحد، صبابة المرء بأخيه.

وروى ابن أبى شيبة من حديث أبى هريرة: أن النبى، (صلى الله عليه وسلم) ، كان فى جنازة مع عمر فرأى امرأة تبكى فصاح عليها عمر، فقال النبى: (دعها يا عمر، فإن العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب

(فعذرها (صلى الله عليه وسلم) مع قرب العهد، لأن بعده ربما يكون أقل للثكل، وفتور فورة الحزن، فإذا كان الحزن على الميت وفاء له ورقة عليه، ولم يكن سخطًا للقضاء ولا تشكيًا به، فهو مباح لقوله: (إنها رحمة) وقد جبل الله النفوس على غاية الضعف، والناس متباينون فى الصبر عند المصائب، ولاسيما عند الصدمة الأولى.

وقد صدمنا بموت أم سلمان فهى مصيبة وقعت علينا فجأة وبدون مقدمات فكان وقعها علينا وعلى الناس شديد بل على كل من يعرفها فنسأل الله أن يرحمها ويغفر لها ويوسع مدخلها ويكرم نزلها إنه جواد كريم فقد جمعت – رحمها الله – خصال الخير من التوحيد والإيمان وسلامة القلب وطهارته والجود والكرم والسخاء والستر والحياء والخوف من ربها والسعى فى مرضاته

وفى هذه العجالة نذكر شيئا من سيرتها وصفحات من حياتها لعل ينتفع به غيرها ويكون فى ميزان حسناتها صدقة جارية رحمها الله وغفر لها

والهدف من كتابة هذه الكلمات هو الدعاء لها بالرحمة والعفو والمغفرة

فأرجوا كل من يعرفها أو يقرأ هذه الكلمات أن يدعو لها بالرحمة

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أبو سلمان

وماتت أم سلمان

أتعرفون من هى أم سلمان ؟

إنها الزوجة الصالحة العابدة المجاهدة المربية الفاضلة الصابرة المحتسبة محبة الخير

ماتت فجأة دون مقدمات فكانت صدمة ومصيبة كما سماها الله ورسوله

ماتت أم سلمان بعد عِشرة دامت أكثر من ربع قرن من الزمان وتقلب الأيام ونوائب الدهر

ماتت حبيبتى وزوجتى وأم أولادي وتركتنا ونحن في أشد الحاجة إليها وإلى حنانها وعطفها وروحها الطيبة

ماتت بعد أن أحست أنها أتمت مهمتها وقامت بواجبها فأرادت أن ترتاح من كل هذا العناء بعد هذا الطريق الشاق الذي كانت بدايته عام 1403 الموافق 1983 عندما رأيتها أول مرة طفلة صغيرة لم تتجاوز الرابعة عشر من عمرها فرأيت فيها البراءة والطهر والعفاف وتمت الخطبة بعد خمس سنوات ثم الزواج بعدها بثلاثة سنوات

فكانت هذه هي المرحلة الأولى من حياتنا معاً التي بدأت بأول لقاء سنة 83 وانتهت بالزواج فى السابع والعشرون من ربيع الآخر سنة 1411الموافق نوفمبر سنة 1990

وفى هذه السنوات السبع ظهرت خصلتان عظيمتان في أم سلمان هما الصدق والإخلاص وخصلة ثالثة ختمت بها المرحلة الأولى قلما تجدها اليوم ألا وهى الوفاء

الوفاء للرجل الذي أحبته وأخلصت له وصدقت في حبه مع كل المتاعب التى واجهتها والضغوط التى تعرضت لها من هنا وهناك لفسخ الخِطبة وإنهاء هذه العلاقة فأراد الله أن يوفى لها أجر صبرها وإخلاصها بزواجها بمن اختارته هى فصبرها وجلدها وقوة تحملها علامة بارزة فى شخصيتها تظهر أكثر وبوضوح فى المرحلة الثانية

المرحلة الثانية بعد الزواج

بدأت هذه المرحلة بالزواج فى أواخر عام 1990 فى حجرة فى بيت العائلة والحجرة الثانية لشقيقي وزوجته والحجرة الثالثة لوالدتي والصالة كانت للضيوف

أقلهن مهوراً أكثرهن بركة

لما كانت العقبات والمتاعب تلاحقنا من أهلي وبعض أهلها للقضاء على هذا المشروع ولم يكن معنا إلا والدتها تدافع عنا وتشجعنا وتدفعنا للاستمرار والثبات حتى يتم الزواج والبناء وكنت لا أملك شيئا من المهر مع قلته فقد حدده أهلي بستمائة جنيها لعدم رغبتهم فى الاستمرار ومع ذلك وافق أهلها بل زادوا على المهر نصفه حتى يقترب من مهر المثل فى ذلك الوقت أما الأثاث فقد كان مستعملا عندنا من عشرة سنوات فقد كان عندنا سرير ودولاب (خزانة ملابس) واشترينا تسريحة وحاملة أطباق هذا كان كل شيء وعند الزواج أقرضني أخي – رحمه الله – لتجهيز أمور الزواج وتم الزواج ولله الحمد فكان كل متاعنا غرفة واحدة

وبعد الزواج بأسبوع طلب آخى قرضه الذى أقرضني إياه للزواج فقامت أم سلمان بخلع شيء من ذهبها القليل وقالت بع هذا وسدد أخيك فليس لى حاجة بالزينة فأنت زينتى فى الدنيا والحمد لله الذى جمع بيننا وهذا ما أردنا فالسعادة ليست فى المال والزينة والمتاع ،يكفينى أنى معك ،وعندما أنظر إليك أشعر وكأنى أملك الدنيا وما فيها ،فأنت زينتى ومتاعى الحقيقى ،والحمد لله لا أمد عينى إلى أكثر من ذلك ,وماذا لو ملكت الزوجة كل شيء ولكنها خسرت زوجها وحبيبها ! فالسعادة في طاعة الله مع من تحب ،وأنا أحبك وهذا يكفينى ،فخذ هذا الذهب وسدد أخيك فلا حاجة لى به .

واستمرت الحياة وبدأت المتاعب من نقابها وحجابها ،كيف تتنقب زوجتك من أخيك ونحن فى بيت واحد وحمام واحد لابد أن تخلع النقاب فى البيت أو تخرجوا من البيت ومع إصرارها – رحمها الله – على التمسك بالسنة والشرع بدأ التضييق والمحاربة فحصرونا فى الغرفة ثم قاموا بنقلنا لغرفة بابها من خارج المنزل حتى لانستعمل الحمام إلا بإذنهم ولا نستقبل ضيفا إلا فى غرفتنا

وجاء شهر رمضان فكانت كريمة سخية فقالت لايأتى يوم من رمضان إلا ومعك ضيف يفطر عندنا فقلت لها نحن لانملك إلا قوت يومنا وليس عندنا إلا الأرز والبطاطس فكيف نستضيف ضيفا ونفطر صائما وحالنا هكذا ؟

قالت نعمل الأرز كل يوم بشكل مختلف وكذلك البطاطس يوما محمرة ويوما مهروسة ويوما مطبوخة وكذلك الأرز وكل ضيف على حده ولا يعلم ماذا كان عندنا البارحة فكان الضيف يأتي من الباب الخارجى لتناول الإفطار وهى رحمها الله ورضى عنها تجلس أمام الباب الأخر حتى ينصرف الضيف وإن طالت الزيارة لدرس أو موعظة أو غير ذلك تنام رحمها الله أمام باب الغرفة وكانت فرحة مسرورة بحياتها وكانت تدعوا الله أن يرزقها ذرية صالحة تعبد الله وتوحده وتجاهد فى سبيله ويوسع عليها مسكنها ويخرجها من هذا الضيق والعنت والمشقة حتى تعبد الله كما تريد

واستجاب الله لها

وبعد سنة من زواجنا رزقنا الله بسلمى وفرحنا بها فرحا شديدا واستبشرنا بها خيرا وبعد سنة من ميلاد سلمى سافرت إلى مدينة جدة ومنها إلى مكة المكرمة طالبا للحج والعمرة والعلم على يد كبار العلماء فى الحجاز فرزقنى الله علما ومالاً وحجاً وعمرة وقبل مرور عام على رحلتي أرسلت لها فاشترت بيتا واسعاً وعوضها الله بدلا من الغرفة الواحدة عوضها الله بأربع وبعد سنة رجعت إليها وانتقلنا إلى البيت الجديد حامدين الله سبحانه وتعالى على نعمه وفضله العظيم علينا

وكان الابتلاء الأول

وعشنا فى سعادة ونعمة وفضل وأثناء مراجعتنا لاستخراج بطاقة إثبات شخصية ومع الحملة الهمجية على كل ماهو إسلامي تعنت الموظف المختص وأصر على أن ينزع عنها الحجاب أمام الناس بصورة قبيحة مستفزة فوقفت له ومنعته من ذلك وانتهى هذا المشهد باعتقالي وحبسى فتحملت المسكينة مشاق السفر والزيارة وهى لاتدرى أن الله يدربها ويربيها ويؤهلها لأشد من ذلك ومن رحمته سبحانه بها أن خفف عنها الابتلاء فلم تطل مدة الحبس وخرجت بعد ثلاثة أشهر وسافرنا إلى مكة ومن الله علينا بالحج والعمرة

وجلسنا فى مكة فى أسعد حال نتنقل بين الحج والعمرة والطواف بالبيت وطلب العلم والدعوة والتدريس والطاعة فكانت هذه الفترة من أجمل أيام العمر كما كانت تقول أم سلمان سنوات مباركة قضيناها فى طاعة لله تعالى بجوار بيته المحرم

اللهم أرزقني ولداً يكون مثل أبيه فاستجاب الله لها

مرت ثلاث سنوات ولن نرزق إلا بسلمى وفى ليلة من ليالى رمضان المكية وبعد تناول طعام الإفطار سمعتنى أصلى بالناس فى المسجد فرفعت يديها متضرعة لله تعالى وقالت (اللهم ارزقني غلاما يعبدك ويوحدك ويجاهد فى سبيلك ويحفظ كتابك ويؤم المصلين مثل أبيه وفاضت عينيها بالدمع كان هذا فى أول رمضان وقد راجعنا الأطباء وأهل التخصص وأخذنا بالأسباب الشرعية إلا أن الله لم يقدر ذلك وبعد أسبوع من دعائها أحست بشيء فراجعنا الطبيبة وبشرتها بأنها حامل ولكنه حمل ضعيف يحتاج إلى راحة ومتابعة وحذر

فقالت لها أم سلمان هو غلام جميل وأسمه سلمان

فقالت لها الطبيبة من أعلمك هذا فهو مازال نطفة لم يظهر على الجهاز بعد ؟

قالت أم سلمان أرانى الله إياه فى الرؤيا وقد استجاب دعائى وتضرعى له سبحانه

كانت صادقة الرؤيا ,ما رأت رؤيا إلا وجاءت كما رأتها

وبعد تسعة أشهر وضعت سلمان كما رأته أمه طفلا جميلا رقيقا بعد أربع سنوات بينه وبين سلمى التى ظهرت عليها علامات النجابة والفطنة وقوة الحافظة فقد حفظت ثلاثة أجزاء وهى بنت ثلاث سنوات ولظروف قاهرة رحلنا من مكة وكبرت سلمى وسلمان ثم رزقنا الله بسفيان ومن بعده سهيل ومن بعد سهيل رزقنا الله بسالم ثم سمية ويوم مولدها كانت المحنة الكبرى التى ظهرت فيها شخصية أم سلمان وصلابتها وحزمها فى تربية الأولاد وإدارة البيت

وأصبحت مسئولة عن كل شيء فيه ومن العجيب أن تتجاوز هذه المحنة وتخرج منها أكثر قوة

المحنة الكبرى

فى أول شهر رمضان عام 1424 تم اعتقالي من البيت أمام زوجتى وأولادى فقاومتهم أم سلمان وقام سلمان برجمهم بالحجارة فقالوا لها أيام قليلة ويرجع مجرد اشتباه فى الأسماء وطالت هذه الأيام إلى خمس سنوات وأصبحت أم سلمان مسئولة عن البيت وإدارته وعن تربية الأولاد السبعة والمحافظة عليهم وليس لها معين ولاناصر إلا الله سبحانه وتعالى

فجأة فقدت زوجها وأصبحت وحيدة وسط هذا البحر الهائج والموج المتلاطم تعانى الهموم والأحزان وتقاسى لوعة الحرمان والمجتمع لايرحم ولكنها أم سلمان الصابرة المحتسبة المتوكلة على ربها التى تحسن الظن به وأنه لن يتركها ولن يتخلى عنها فركنت إلي الله وبقوة إيمانها تحملت أم سلمان مالا يتحمله الرجال الأشداء ولك أن تتخيل هذه الرحلة الأسبوعية وهذا اليوم الشاق الذى يبدأ من بعد منتصف الليل وينتهى بغروب الشمس فى زحام المواصلات وطول المسافة ومشاق السفر ومتاعبه على امرأة ضعيفة مرهقة وأولادها السبعة الصغار ومع كل ذلك فهى سعيدة فرحة مسرورة بهذه الزيارة لأن الزوج سيجتمع بزوجته ويرى أولاده ويطمئن عليهم ويسكن تفكيره ويهدأ قلبه فلا ينشغل عليهم فيثبت ويقر

رحلة المتاعب

بعد ثلاثة أشهر إنتقلنا من سجن التحقيق إلى المعتقل وبعد ستة أشهر سمحوا لى بالزيارة فكنت فى شوق وخوف من اللقاء بعد هذا العناء ,شوق لزوجتى وأولادى وخوف عليهم من سوء حالتى وضعف قوتى فقد خرجنا من سجن التحقيق كهياكل عظمية فكنت أخشى عليهم من ذلك ولكن أم سلمان ليست كالنساء فهى بألف رجل

عندما رأيتها ورأيت أولادى ترقرقت العيون بالدموع ولكن كلمات أم سلمان سبقتها

هذا هو الطريق يأأبا سلمان والابتلاءات والمحن علامة على صحته وسلامته

يزول الألم ويبقى الأجر يأأبا سلمان دينك دينك دمك ولحمك فاثبت واصبر ولا تنشغل بنا فنحن فى خير وعافية وستر والله يتولانا ويتولاك ثق بربك الكريم إنه لن يضيعك

وأمسكت بيدى وقالت يا أبا سلمان إن سلم لك دينك وثبتك الله ونحن معك بخير فلا نريد من الدنيا غير هذا ،وأنا معك مهما فعلوا بنا فلن يستطيعوا أن يضعفوا ثقتنا بالله ،وستمر هذه الأيام بمرها وسيبقى أجرها فاطمئن يكفى أنى أراك وأطمئن عليك وهذه عندى بالدنيا ،فقبلت يدها وشكرت لها وحمدت الله عليها

فهونت كلماتها من صعوبة اللقاء وتوالت الزيارات وقاموا بترحيلنا من معتقل لآخر وأم سلمان حريصة كل الحرص على الزيارة الأسبوعية لأطمئن على الأولاد وتطمئن هى على– رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها الفردوس الأعلى وجزاها الله عنا كل خير –

من يتحمل مثل ما تحملت يا أم سلمان

كانت رحمها الله تقوم بعد منتصف الليل تجهز الزيارة والطعام وتصلى الفجر وتأخذ أولادها فى يديها والصغار على صدرها وتركب القطار ثلاثة ساعات حتى تصل بوجهها الصبوح وكلماتها التى تجعل الهمم فى السماء والعزيمة والثبات كالجبال وهى المسكينة تعانى مواجهة الحياة ليس لها سند ولاناصر ولا معين غير الله سبحانه وتعالى وتجلس ساعة وترجع وربما نصف ساعة وربما تقطع هذه المسافة الطويلة وتتحمل هذا العناء والمشقة ولا يسمح لها بالزيارة و ترجع من حيث أتت دموعها على خديها ولكنها لاتيأس وتعاود الكرة الأسبوع القادم تعود منهكة متعبة تلازم الفراش ثلاثة أيام وثلاثة أيام تجهز ليوم السفر ظلت على هذا الحال خمس سنوات تنتظر يوم أن يطلق سراحى ويفك وثاقى وأرجع إلى بيتى وأهلى وأولادى خمس سنوات ماكلت ولاتعبت ولا أصابها الملل ومع كل هذا قامت على تربية الأولاد أفضل مما يقوم الرجال أولى العزم والحزم ياالله ماأعظمها من امرأة جمعت خصال الخير وفاقت بعض الرجال رحمها الله رحمة واسعة ورضى عنها وأسكنها الفردوس الأعلى

يوم الخروج والفرج

كان الطواغيت الظلمة يقولون لى لن ترى الشمس وستموت في الأسر مسجوناً،وكنت أقول لهم الأمور بيد الله وسأخرج يوماً ما بقدر الله وحده فالأمور بمقادير تجرى على وفق علم الله وحكمته ،وخرجت بقدر الله ،وكان مجرد الخروج لا يعنينى ،ولكن كنت حريصاً أن أخرج بالدين والعقيدة التي دخلت بها ، وكانت أم

سلمان رحمها الله حريصة على أن أخرج بديني أفضل مما دخلت ،وعندما خرجت كان يشغلني كيف أدخل عليها فجأة وهى مريضة لم تفق بعد من العملية والجرح ما زال ينزف !

فقلت أفضل شيئ أتصل بها من أي سنترال مكالمات وأخبرها وأمهد لها حتى تستقبل الخبر ولا تتفاجئ به ،وقلت لصاحب التاكسى قف عند أي سنترال حتى أجرى مكالمة هاتفية ،ونزلت واتصلت .....

السلام عليكم فلم يرد أحد،اتصلت مرة ثانية الخط يفتح ولم يرد أحد ،**فتذكرت أن أم سلمان لا ترد على الهاتف ،ولا ترد على الأرقام الغريبة الغير مسجلة عندها ،فقط ترد على الأرقام التي تعرفها** ،فعاودت الإتصال مرة ثالثة وقلت مباشرة السلام عليكم يأم سلمان أنا أبو سلمان ،فصمتت برهة ثم قالت وعليكم السلام ،**من أين تتكلم ،قلت لها أتكلم من فمى ،فضحكت** وقالت أبو سلمان أين أنت ،قلت لها أنا في الشارع وقد منَّ الله علينا بالخروج وفرج عنا بفضله وكرمه ورحمته رغم أنوف الطواغيت ،فرحت وهللت وكبرت ،وكأنى أسمع دقات قلبها تكاد تخرج وتطير لتعانقنى سعادة وفرحاً ،قلت أنا في الطريق وأين الأولاد ،قالت في المدارس وأنهيت المكالمة على أمل اللقاء بمن نحب ،فالطريق طويل جداً وكأن السيارة لا تسير ،مع أن المسافة قصيرة نصف ساعة ،والسيارة تسير ،ولكن شوق اللقاء وحرارة الإنتظار أشعر وكأن الزمن توقف

ووصلت البيت وفتحت الباب وفوجئت بها واقفة على الباب تنتظرنى وقد ربطت جرحها وتحاملت على نفسها ورتبت البيت ونظمته وعطرته بالعطر الذى أحبه ،ووقفت تنتظر حبيبها وزوجها العائد من المجهول .

عندما شاهدتها ورأيت الدموع في عينيها عانقتها وضممتها إلى صدرى ،فقبلت يدىَّ ،فقلت لها ماهذه الدموع وقد فرج الله عنا ،قالت دموع الفرح بنصر الله وثباتك وعودتك لنا سالماً معافاً في دينك ،فأخذت بيديها وأجلستها وقلت لها أتعبتى نفسك وأنتى مريضة وما زال جرحك ينزف ،قالت لم أشعر بأى شيئ وعندما سمعت صوتك وأخبرتنى أنك خرجت وفى الطريق ذهب كل الألم وكأن ليس فيَّ جرح ولا عملية .

عاشت لأهدافها وماتت بعد أن حققها الله لها

كان هدفها أن أخرج من هذه المحنة ثابتاً على الدين الذى دخلت من أجله

وكان من أهدافها تربية الأولاد تربية دينية راقية على حفظ وتعلم كتاب الله والتفوق فى الدراسة

كانت تريد أن تطمئن على ابنتها فى بيت الزوجية بعد أن تجهزها أفضل جهاز

كانت تريد أن يلتحق سلمان بكليات القمة وتراه ناجحاً فى حياته فهو له منزلة خاصة فى حياتها

كانت تتمنى وتلح بقوة أن نقوم ببناء البيت حتى لانغرق فى ماء المطر كل عام فى الشتاء

وقد حقق الله لها كل ماتمنته ولكنها ماتت قبل أن تسكن البيت التى قامت ببنائه ونسأل الله أن يسكنها بيتاً أفضل من بيتها ويبدلها حالاً خيراً من حالها ويوسع مدخلها ويكرم نزلها وينور قبرها ويتجاوز عنها

أم سلمان ما أصعب العيش بدون أم سلمان

وما أقسى أن تعيش دون أن تتكلم مع من تحب مجرد شعورك أنك لن تتكلم بعد مع زوجتك ورفيقة دربك إحساس شديد القسوة

أن تموت زوجتك وحبيبة قلبك فجأة بين يديك تكلمها لاتردعليك إحساسك وإدراكك أنها لاتكلمك ولاتأنس بالحديث معها

يقينك أنها ماتت ثم تغسلها بيديك وتكفنها ثم تصلى عليها ثم تلحدها فى قبرها وتكشف وجهها وتقبل جبينها وتودعها وتتركها فى ذمة الله وأنت تدرك أنك لم ولن تراها بعد اليوم فى الدنيا هذا هو اللقاء الأخير

ياالله ماهذا ياأبا سلمان كيف يطيب لك فعل هذا هل هذه قسوة أم غفوة أم سكينة من الله عليك ؟

أسأل الله أن يلطف بنا ويلهمنا الرشد والسداد فى القول والعمل

المرحلة الثالثة بعد المحنة وقبل الوفاة

خرجت من السجن وزالت المحنة ولكن أم سلمان أنهكتها تلك السنوات ونالت من قوتها وأصابتها الأمراض فقد أجريت لها أكثر من عملية جراحية لاستئصال الزائدة وللحصوات مرتين وللناصور مرة وللكلى مرة فهى كانت تعانى من مشاكل فى الكلى والكبد وأصيبت بالضغط وأمراض الصدر وضيق التنفس فاجتمعت عليها أوجاع السنين مع هموم الزوج الغائب وتربية الأولاد ولكن كل ذلك زال بخروجى ولله الحمد والمنة

وفى البداية كانت الهمة منصرفة إلى سداد الديون والبحث عن عمل لكفالة هذه الأسرة الكبيرة وعمل منهج علمى للارتقاء بمستوى الأولاد ومراجعة حفظهم ومع أنى كنت تحت المراقبة والمتابعة الأسبوعية المستمرة إلا أننا بفضل الله وتوفيقه استطعنا أن نحقق كل ذلك فقد سددنا جزءاً كبيرا من الديون وحصلنا على عمل مناسب يدر علينا دخلا نقتات منه ولله الحمد والفضل والمنة فقد سخر الله لنا بعض طلبة العلم النجباء نحسبه من أهل الصدق والإخلاص أجرى الله على يديه هذا الأمر فكفانا البحث والسؤال

الدعوة ونشر العلم

وهذه الظروف مكنتنى بفضل الله من مراجعة كتبى وتحقيق العلم لأن هناك فرقاً كبيراً بين العلم وتحقيق العلم فطبع كتاب { مقدمة فى التوحيد }وتوالت بعده الكتب وبدأ طلبة العلم يبحثون عن مؤلف هذه الكتب عبر مواقع التواصل الإجتماعى والهاتف والزيارات وتوافد طلبة العلم من كل مكان فقررت عقد دورات علمية فى شروح كتب التوحيد والعقيدة فى البيت مع استمرار الدرس الأسبوعى الذى لم ينقطع منذ خروجى حتى الآن بفضل الله ورعايته ومع توافد الإخوة وإقبالهم على طلب العلم كانت الدورات العلمية تعقد فى البيت وكانت مدة الدورة ثلاثة أيام كانت أم سلمان – رحمها الله تعالى – تقوم على إعداد المكان والطعام لهؤلاء الإخوة ولك أن تتخيل هذا العدد الذى كان يفوق أحيانا العشرون طالبا وهذه السيدة الكريمة تقوم على إطعامهم وكفالتهم

وكان معظمهم طلبة مغتربون عربا وعجماً من تونس وفلسطين والجزائر والمغرب وبلاد القوقاز وروسيا وأمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وقرقيزيا ومقدونيا وألبانيا وإندونيسيا هذا علاوة على الدورات العلمية التى كانت تقام فى مساجد المحافظات المحلية فى أوقات السعة والأمان وبفضل الله تعالى وتوفيقه انتهينا فى هذه الدورات من شروح كتب كثيرة نفع الله بها ورجع بعض الطلبة إلى بلادهم بهذا العلم ونشروا التوحيد والسنة وأحيوا به منهج الصحابة رضى الله عنهم فانتهينا من شرح كتاب الإيمان لأبى عبيد, والسنة للإمام أحمد ,شرح السنة للبربهارى مقدمة فى التوحيد ,الأصول الثلاثة ,القواعد الأربع ,الواسطية . لمعة الاعتقاد وبعض كتب شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله ومازلنا بفضل الله تعالى على هذا المنوال نسال الله الصدق والإخلاص والقبول وحسن الخاتمة ويجعل هذا فى موازين أم سلمان فهى صاحبة الفضل بعد الله عز وجل فلها صفحات مشرقة

فى هذا الجانب إذ كانت حريصة على عقد دورات علمية وشروح كتب السنة للأولاد فى البيت وكانت تحضر هذه الدورات والدروس وتشارك فى إعدادها وتحث أولادها عليها وتجعل لهم الجوائز والحوافز التى تحفزهم وتشجعهم على طلب العلم غفر الله لها كانت تقول لأولادها إن الناس وطلبة العلم يأتون إلى أبيكم ويسألونه ويطلبون العلم على يديه ويذهبون ينشرون التوحيد والسنة فى بلادهم فأنتم أولى بذلك منهم فأنتم أولاد الشيخ فكونوا قدوة–فكانوا حفظهم الله قدوة صالحة بين أولاد المسلمين يضرب بهم المثل فى االإلتزام والاستقامة والنظافة وحفظ القرآن والأدب والتفوق وسنذكر مواقف من سيرتها وصفحات مشرقة من حياتها عسى الله أن يرحمها ويغفر لها ولايحرمنا الأجر

فبين الأجر والحرمان نية فانو خيرا تجد خيرا فالموفق من وفقه الله لطاعته والمحروم من حرم الخير

والله أرجوا أن يستفيد الناس من هذه الكلمات ويحرصوا على الزوجة الصالحة صاحبة الدين فهى خير متاع الدنيا وأن يحسنوا إليها ويعرفوا قدرها ويكرموها فمن القسوة وخوارم المروءة أن تهين من يحبك

صفحات مشرقة بالإيمان من حياة أم سلمان

هذه الزوجة الصالحة المجاهدة الصابرة سأذكر لمحات من صبرها وجهادها وحبها للمسلمين وخدمتها لطلبة العلم والمجاهدين وصفحات من صبرها وجلدها مع الظالمين وصفحات من تحريضها أبنائها على نصرة دين الله وطلب العلم وتعلم القرآن صفحات من كرمها وجودها وصفحات من قوة تحملها فقد تحملت مالم يتحمله الرجال فكانت كالجبل فى ثباتها والجمل فى صبرها تستمد كل ذلك من إيمانها بالله وحسن الظن به أنه قريب منها

صفحة الستر

كانت تحب الستر حتى وهى صغيرة قالت لى يوما أريد أن أستتر فلا يرانى أحد إلا أنت فالستر نعمة عظيمة من الله هذا فى وقت كان الحجاب الشرعى غير منتشر ويحارب من دعاة التبرج والسفور ومع ذلك تحدت هذا الواقع وتحملت تبعات اختيارها وحقق الله لها ماتمنت وتحجبت حجابا شرعيا فكان لايظهر منها شيئا وكانت تلبس البيشة وتكره النقاب والبرقع وتقول ليست محجبة من تظهر عينيها فهى أجمل مافى الوجه فكيف تظهرها من تخاف الله تعالى ؟

من حبها للستر أنها ظلت سنة كاملة لاتخرج من عتبة باب بيتها

سافرت ذات مرة ومكثت عام كامل وتركتها وحيدة هى وابنتها الصغيرة سلمى التى لم يتجاوز عمرها سنتين وكانت أمها تطلب زيارتها فكانت تقول لها إنى امرأة مغيبة – التى غاب عنها زوجها – ولا أخرج إلا بإذن أو لضرورة فإن أردت رؤيتى ياأماه فأهلا بك فى بيتى وكانت تستعين بجارة لها فى قضاء حوائجها وعاشت هذه السنة طالبة علم على محاضرات ودروس الشيخ الطحان والشيخ الشنقيطى فهى مستمعة جيدة –رحمها الله – فتأثرت بالشيخين خاصة فى جانب السلوك والزهد والمواعظ والآداب مما كان له الأثر الطيب فى تربيتها لابنتها سلمى التى أصبحت فيما بعد قدوة للنساء وسنذكر طرفا من حياة أولادها حتى نقف على مواطن الخير فى شخصيتها رحمها الله رحمة واسعة

ومن حبها للستر وخوفها من الله تعالى أنها قبل موتها بيوم وهى تزور البيت الجديد بعد المغرب جلست أنا على السطح أصلى على السلم فقلت لها تعالى إجلسى بجوارى فصعدت ثم جلست فى أسفل وقالت أخشى أن يرانى أحد قلت لها الجو ليل ونحن فى مكان مرتفع قالت أخشى أن يرانى أحد =رحمها الله ورضى عنها

جودها وكرمها

هذه كانت صفة ملازمة لها منذ الصغر وقد مر معنا كيف كانت تفعل فى رمضان فى أول زواجها وهى كذلك فى مكة **فبيتها كان بيت الضيافة فى مكة المكرمة** وكان هذا البيت لايخلوا من الضيوف والإخوة وكان مكان استقبال كل من يسافر ويزور مكة ولا يخلوا المجلس من محاورات علمية ومناقشات فقهية وهى رحمها الله سعيدة بكل ذلك وتحتسب قيامها على راحة الضيوف وإكرامهم قربة إلى الله تعالى حتى عندما إنتقلنا إلى الجنوب كان بيتها مقر إجتماع أعضاء الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بغليفة واستقبال العلماء والدعاة وطلبة العلم فكان هذا العطاء يحير كثير من الرجال والنساء كيف تقوم بكل هذا وحدها ولكنهم لم يعلموا أن هذه السيدة صار الكرم طبعاً لها وسجية من سجاياها لازمتها حتى ماتت رحمها الله

ومن عجيب ذلك أن بعض الإخوة وطلبة العلم من حفظة كتاب الله زارونا من مكان بعيد فأخبرتها وأنا فى الطريق وقلت لها سأشترى طعام من الطريق تخفيفا عليها لأنى أعلم أنها حامل فى الشهر التاسع وهى مريضة ومتعبة وفى انتظار الوضع فقالت – رحمها الله – لاتفعل لايجوز لنا أن نستضيف الضيوف فى المطاعم هذا مسبة لى لايحدث هذا وأنا حية بل تعال وما يكون إلا خيراً إن شاء الله وعندما وصلت للبيت وجدت الطعام جاهزا وساخنا وقد أصابها من التعب والإرهاق ما أصابها وكانت فى غاية السعادة بذلك فرحمها الله رحمة واسعة وغفر الله لها وتجاوز عن تقصيرنا فى حقها

نظافتها وخوفها على سمعتها

كانت رحمها الله تحب النظافة جداً وتهتم بالبيت وتحرص أن يكون مرتبا وكانت تغتسل يومياً فى الشتاء وتغير ملابسها لأقل جهد يسبب عرقا مع أن رائحتها والله كانت طيبة معطرة كأنها متطيبة وكانت فى الصيف

تغتسل ثلاث مرات عندما تقوم من النوم وبعد الظهر وتجهيز الغداء وقبل النوم وكانت تحرص رحمها على أن تكون رائحتها طيبة فكانت تستعمل الطيب وتضعه تحت وسادتها

ومن حرصها وحبها للنظافة كانت تقوم بكى ملابسي وتجهيزها مع أنى لاألبس إلا البياض من الثياب إلا أنها رحمها الله كانت تتفقدني عند الخروج وتجبرنى أحيانا كثيرة على تغيير ملابسي لأنها ليست ناصعة البياض أقول لها إنها نظيفة تقول بدلها وغيرها ولا تسيئ لسمعتنى فنظافة الزوج والأولاد والبيت عنوان المرأة ودليل عليها فهذا فى وجهى أنا وتصر على ذلك وليس لى إلا التسليم ونزولا على رغبتها رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته

حسن تربيتها لأولادها وخبرتها بالغذاء المفيد

من كثرة الأولاد وتجاربهم فى مراحل العمر كانت رحمها الله خبيرة بالتربية وماينفع الأولاد فى الصيف والشتاء فكانت تراقب الجو وتقلباته خوفا على الأولاد وكانت ترشدهم إلى لبس الملابس المناسبة فى الوقت المناسب وكانت تحرص على الطعام الصحى الطازج وكانت تحرص على أن يشرب الأولاد اللبن الحليب قبل تناول الإفطار فلابد من كوب اللبن وبيضة مسلوقة والفاكهة الطازجة هذا مهم جدا عندها وكانت لاتهتم بعد ذلك بما يأكلونه طوال اليوم وكانت هى رحمها الله تعانى من أمرض عديدة مثل الكبد والكلى وضيق التنفس وحساسية الصدر وكان عندها اعتقادا جازما ويقينا قاطعا فى كلام ربها عز وجل وكلام نبيها صلى الله عليه وسلم فكانت تتداوى بعسل النحل منذ سنوات طوال ولم تتداوى بغيره وكان فيه الشفاءكما قال ربنا وقد أكرمنا الله بأخ كريم نحسبه من الصالحين الصادقين كان يوفر لنا العسل الصافى فكانت أم سلمان تعرف عسل أبو محمد وتميزه وكانت تعيش عليه طوال العام رحمها الله كانت طيبة وتحب الأشياء الطيبة طيب الله ثراها وجعل الجنة مثوانا ومثواها

سلامة قلبها وحفظها للسانها

أفضل ما كان يميز أم سلمان سلامة قلبها وعفة لسانها لم أذكر أنها خاصمت أحدا أو أغضبت أحدا ومن فضل الله عليها أنها لم تتفوه بلفظ خارج أو جارح طول عمرها لاتعرف الألفاظ القبيحة المتداولة بين الناس

خاصة التى نسمعها عند الخصومات والغضب كانت تحب الحق وتكره الظلم مهما كان مصدره كانت لاتحمل فى صدرها إلا الخير للمسلمين كانت لاتعرف الحقد ولا الغل ولا الحسد لذلك كانت تحب المرح والمزاح والضحك وكل من يعرفها يحبها لأنها تؤثر فيه بشخصيتها الطيبة الصافية المرحة لم يراها الناس إلا وهى مبتسمة تدعوا للناس بالخير

غيرتها الشديدة وحبها لزوجها

كانت أم سلمان تحبنى أشد ماتحب المرأة الرجل ووالله إنى أحببتها أشد مايحب الرجال النساء وأغار عليها وهى كانت تعرف ذلك فكانت ونحن فى الطريق لاتكلمنى إلا همسا حتى لايخرج صوتها ويسمعه المارة

و أُنزّه إسمكَ أن تمُر حُروف ه * من غيرتي بِ مسامِع الجُلاسِ**

فَ أقول بعضُ الناس عنك كنايةً * خوف الوشاة و أنت كُل الناس**

كانت تقدر حبى لها وقالت هممت أن أخطب لك وأزوجك لولا أنى أغار عليك ولا أتصور أن تكون لامرأة سواى لاأتحمل هذا فكانت تغار بصورة شديدة وكان أكثر مابيننا من ملاحاة من غيرتها الشديدة– مع أن مثلى لايغار عليه – وكنت لاأتحمل أن أراها حزينة وكنت أعرف مالذى يسعدها ويفرحها كانت تحب أن أخرج معها نتمشى بين المزارع والحقول وحدنا بعيدا عن الأولاد وصخبهم فكنت أسارع وأطلب منها ذلك كلما رأيتها حزينة ومثقلة بهموم ومشاكل الأولاد والناس يتعجبون منا كيف تطيب لهم هذه الخلوة وهم بلغوا من العمر ما بلغوا وعندهم من الأولاد الكفاية كيف يجدون وقتا للفسحة ؟

وفى الحقيقة كان الحديث مع أم سلمان ممتع فكنا نخرج بعد صلاة العصر نمشى بين الزرع ونردد أذكار المساء ونذكر الله ونصلى المغرب والعشاء فى الخلاء بين الحقول وندعوا الله تعالى ونحمده ونستغفره ونرجع إلى أولادنا وكانت هذه الفسحة تجديد لمابيننا من حب وود نتذكر فيها الأيام الطيبة التى عشناها سويا والمشوار الطويل الذى سرنا فيه معا وكيف مرت الأيام بحلوها ومرها علينا مابقى منها إلا الذكريات ونسأل الله أن لايحرمنا الأجر

أم سلمان طيبة العشرة مرحة تحب الفرح وتكره النكد والحزن

أم سلمان تحب طيب القول وتكره الفحش وبزاءة اللسان

أم سلمان عفيفة اللسان جميلة الروح والطباع والمنظر

أم سلمان تخاف الرحمن خاشعة القلب دامعة العينان فى الأسحار

أم سلمان وماأدراك مأأم سلمان زوجة صالحة طيبة أحسبها خلقت للجنان

أم سلمان عاشت بيننا وماعرفنا قيمتها إلا بعد موتها وهذا من خذلان الله لنا نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا فى حقها ويوفقنا لبرها بعد موتها ويجمع بيننا فى الجنة

أشعر بلوعة وحزن وأسى على تقصيرى فى حقها فقد كانت جوهرة وكنز مكنون لم اقدرها حق قدرها ولم أستفد منها كما ينبغى فرحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته أسأل الله أن يرحمها ويغفر لها ويتجاوز عنها ويوسع مدخلها ويكرم نزلها وينور قبرها ويبدلها حالاً خيراً من حالها ومتاعاً خيراً من متاعها ويحشرها مع خديجة وعائشةوفاطمة وأمهات المؤمنين آمين 0

أم سلمان تتكلم بالغيب قبل الموت

فى الأيام الأخيرة كانت سريعة الغضب والانفعال ليس معى فقط بل مع الأولاد كذلك وكنت أتفهم سبب غضبها وعصبيتها وكانت حريصة على بناء البيت وتجهيز سلمى ومع أن ظروفنا لا تسمح إلا أنها كانت تلح فى ذلك وكنت أتعجب من ذلك فكانت تقول (علشان أموت وأنا مطمئنة) فأقول لها لن تموتى حتى تزوجى سليمان الصغير إن شاء الله تعالى تقول فقط أفرح بسلمى إن سليمان عمره خمس سنوات فحافظ عليه

أخذنا قرار بناء البيت بصورة عجيبة مع أننا لانملك تكاليف البناء إلا أننا إنتقلنا فى بلدة مجاورة حتى يتم البناء فى منتصف شوال وبعد شهرين لم تفكر فى زيارة البيت والسلام على والدتها التى تربطها بها علاقة قوية جدا إلا أنها بعد عيد الأضحى ويوم الخامس عشر من ذى الحجة قالت لى هيا بنا نزور البيت وأرى أمي وكان هذا يوم السبت فذهبنا سويا وقطعنا المسافة مشيا على الأقدام فهى قصيرة لاتتجاوز الكيلو ونصف وفى الطريق رن هاتفها وكانت أمها فلم تفتح عليها المكالمة ولم ترد عليها قلت لها ردى على أمك ،قالت أنا ذاهبة إليها وسألقاها بعد قليل ولا أريد أن يقطع خلوتى وأنسي بك أحد مهما كان ،عندما أكون معك لا أحب أن يشغلنى عنك أو أنشغل بهاتف أو بأولاد أو بأى شيء،أريد أن أستمتع بوقتى معك ،ولا أحب أن تكون حياتنا كباقى الناس ينشغلون وغرباء حين يتقابلون ،كل واحد مشغول عن الأخر بهاتفه أو بأولاده ،لا أحب ذلك فالأوقات الطيبة لا تعوض،وأخذت يدى بيدها ومشينا نتكلم ونتحدث كحبيبين في مرحلة العرس ،وكأن لم تتعبنا الأيام وتهدنا السنون ،وكأننا لم نرى ضيقاً ولابؤساً ولافقراً وألماً قط ،وكأننا لم نخلف سبعة أولاد وكل واحد منهم يحتاج إلى رعاية وسهر وتعب ،ومشينا وظلت ممسكة بيدى حتى دخلنا القرية ورأت من بعيد الشيخ الذى علم أولادها القرآن وقد طعن فى الكبر وضعف بصره فقالت إن الشيخ كبر وتعب ونريد أن نزوره ونطمئن عليه لعلنا لم نره بعد ذلك وقد كان وعندما وصلنا للبيت ورأته كبرت وهللت وحمدت الله وقالت ماشاء الله بيت واسع وجميل أسأل الله أن يبارك لكم فيه وجلست تدعوا الله لأولادها أن يحفظهم ويبارك فيهم وتحمد الله على ما منَ به علينا وجلست بجوارها أصلى وهى تدعوا وتتضرع إلى الله وكان هذا بعد صلاة المغرب ثم ذهبنا لزيارة والدتها وكأنها تودعها وجلست معها تحكى لها عن البيت وسعته

وتطمئن عليها ثم ذهبنا لزيارة الشيخ ورجعنا وهى فرحة مسرورة تحكى لأولادها عن البيت وأصبحنا يوم الأحد قبل اليوم الأخير وأصبحنا يوم الاثنين وذهبت للبيت لاستكمال العمل ورجعت بعد الظهر ثم قلت قيلولة قصيرة استيقظت على تناول طعام الغداء بعد رجوع الأولاد من مدارسهم وذهابهم لدروسهم وجلست تمازحنى على الغداء ثم قالت إن أخى أرسل المال الذى كان عنده فاذهب واحضره فذهبت أنا وسهيل وسليمان وصليت المغرب ورجعنا وقلت لسهيل اذهب أنت وأخوك وأنا سأصلى العشاء وألحق بكما وصليت العشاء واشتريت لها نوعا من الحلوى تحبه ودخلت عليها فوجدت شيئا غريبا وعجيبا رأيتها جالسة مع أولادها وقد اغتسلت وتطيبت ووجهها أبيض كالقمر لست أنا الذى رأيت هذا بل الأولاد كذلك ودخلت غرفتى فدخلت ورائى وهذه كانت من عادتها أن تجلس فى المكان الذى أجلس فيه وإن دخلت تدخل ورائى،ولا اذكر أنى دخلت البيت ولم أجدها في استقبالى على الباب تهش وتبش فرحة بقدومى ،وإن كان عندها بعض الأخوات أو صديقاتها تستأذن منهن وتعذر منهن وتقول أبو سلمان جاء ويجب أن أكون معه ،حتى صار هذا ديدن الأخوات أو الضيوف يعرفون عندما يدخل الزوج لا شغل للزوجة إلا به ،ولم أذكر أن خرجت يوماً من البيت إلا وهى معى حتى باب البيت وتتفقدنى وتتفقد ملابسى لا يغيب عنها أي شيء حتى أخرج وتودعنى عند الباب ، فدخلت وكانت الساعة تقترب من الثامنة مساءً فكلمت أمها فى الهاتف ثم جلست أنا على الأرض وهى تكلمنى ثم جلست على السرير وهى مازالت تكلمنى وقالت لسلمى قسمى الحلوى على إخوتك ولا تعملى حسابى ونادت عليها مرة أخرى لاتعملى حسابى ياسلمى وفجأة وجدت أنفاسها تخرج بسرعة وبصوت عال فظننت أنها نوبة من نوبات ضيق التنفس أو الإغماءات التى كانت تصيبها فأغلقت الباب حتى لايراها الأولاد فى هذا الوضع ثم الأمر زاد ولم يكن هكذا كل مرة وكأنها غرغرة وحشرجة فنادى سلمان(أمى مالها ياأبى؟) قلت مريضة ياسلمان وجلست أقرأ الفاتحة وآية الكرسى فلما رأيت الأمر زاد وليس كسابقه ناديت على الأولاد أن يحضروا سيارة أو طبيبا ولكنها سكنت وأنا فى ذهول من الأمر أنادى عليها لاتجيب لاتتحرك لاتتكلم لاتتنفس ماتت لا لم تمت إنها غيبوبة كبد نعم إنها مريضة بالكبد ولكننا قمنا بالتحليل والفحوصات من ثلاثة أشهر بعد أن تداوت بأبوال وألبان الإبل كما جاء فى السُنة وعشنا سويا شهر ونصف من أجمل أيام العمر وأحاول اقنع نفسى أنها إغماءة كبد أو ضيق تنفس أو غير ذلك ولا أصدق إنها لم تكلمنى بعد الآن وجاء الطبيب وأكد أنها ماتت وأخذتها فى سيارة إلى

بيتها التى لم تسكنه ومعى سلمان وسفيان وسهيل ثم جاء طبيب ثان وأكد أيضا أنها ماتت وجاء الإخوة واجتمع الناس واقتربت الساعة من العاشرة والنصف مساء وتيقنت أنها ماتت فأرسلت لسلمى فجاءت هى وسالم وبقيت سمية وسليمان لصغرهما فطلب الأولاد طبيبا ثالثاً ليؤكد لهم أن أمهم ماتت قبل تجهيزها للدفن وجاء الطبيب الثالث وأكد الوفاة وكثر الناس فى هذا الوقت المتأخر من الليل فقال بعضهم ننتظر للصباح وندفنها بعد صلاة الظهر فقلت لهم السنة تعجيل دفن الميت ولا يجوز تأخير الدفن إلا لضرورة ,ولا ضرورة سندفنها الآن إن شاء الله وبدأت أجهزها وقمت بتغسيلها وتكفينها ثم عندما وقفت للصلاة عليها وقد اقتربت الساعة على منتصف الليل ونظرت للناس فإذا هم جموع غفيرة فقلت لهم أيها الناس أخلصوا لها الدعاء فوالله ماعلمت عنها إلا أنها كانت صالحة تحب الله ورسوله وكانت صوامة قوامة فامتلأ المسجد بالبكاء والدعاء ثم قمت بدفنها فى القبر الذى بنيته لنفسى من عشرين سنة وكشفت وجهها بعد لحدها وقبلتها بين عينيها وودعتها **الوداع الأخير** وتركتها فى ذمة الله وجلست أدعوا لها وأطلت الدعاء فهمس الأخ أبو خالد– وقد عوضنى الله فيه خيرا فهو من حسنات الزمان – همس فى أذنى وقال الجو بارد فلا تشق على الناس وكان مشهدا مهيبا وجنازة مشهودة صلى عليها الأخيار ودعا لها الصالحين والمجاهدين فى أقطار الأرض ومنهم من عمل لها عمرة ومنهم من دعا لها فى الحرم وبعد أن انصرف الناس ورجعت إلى أولادى لم أستطع النوم فرجعت إلى أم سلمان وعز على أن أتركها وحيدة فى أول ليلة لها فى القبر فرجعت إليها وجلست أدعوا لها حتى اقترب طلوع الفجر فجاء الأخ أبو أسامة وأخذنى وذهبت للبيت وحيدا فقد ماتت أم سلمان رحمها الله ورضى عنها وتركتنا نقاسى مرارة الحياة بعدها ماتت بعد أن أحست أنها أتمت رسالتها وأكملت مشوارها ماكان لها أن تعيش معنا ونحن بهذا السوء وهى بهذه الشفافية والصفاء ماتحملت العيش معنا فى هذه الحياة النكدة رحلت لأنها طيبة طاهرة أختارها الله لحياة أفضل ودار أوسع تستحقها بفضل الله الكريم الرحمن الرحيم وأحسب أنها فى خير حال هذا ظنى بربى الكريم فالله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم

تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا مايرضى ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون

نسأل الله أن يغفر لها ويرحمها ولا يفتنا بعدها ويغفر لنا تقصيرنا فى حقها ويتجاوز عنا وعنها ويجمعنا بها فى الجنة إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أبو سلمان

بعد عشاء يوم الخميس السادس والعشرون من ذى الحجة بعد وفاة أم سلمان بعشرة أيام

وبعد سبعة أشهر من رحيلها لم أزل أعيش على ذكرياتها الجميلة ولا أتصور أن أكون لإمرأة غيرها

فاللهم اجمعنى بها وبمن نحب في الجنة بعد فجر الجمعة الأول من شهر شعبان 1435

وبعد سنة وأربعة أشهر من رحيلها لم أزل اعيش على ذكرياتها الجميلة وأيامها الطيبة

فاللهم أرها من رحمتك ما تقر عينها به

اللهم لاتحرمنا أجرها ولا تفتنا بعدها واغفر لنا ولها ياكريم 5 / 11 /1436

وها أنا ذا بعد إحدى عشر سنة أدعوا لها في صلواتى أن يرحمها ويغفر لها ويجمعنا بها وبمن نحب في الجنة

نصيحة للأزواج

احرص على زوجتك وأحسن عشرتها بالتغافل ولا تنسى الفضل بينكم

فمن القسوة أن تغضب من تحب

عبد الله الغليفى

تولاه الله برحمته